مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا عدد 02 خاص -أفريل2022 ص ص: 104-124
ر ت م د (ISSN): 2602-618X / ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

تطور المعالم الجنائزية وطقوسها بتيارت من العصر الحجري القديم الأعلى إلى الفترة القديمة من خلال الشواهد الأثرية والمصادر التاريخية

The developement of the funéral Monuments in Tiaret from the Upper Paleolithic Period to the ancient period Depending on archaeological sites and historical sources

محوز رشيد ♦
جامعة تلمسان rachidarcheologue@gmail.com

تاريخ الإرسال: 06/ 10/ 2021 تاريخ القبول: 2021/11/02 تاريخ النشر: 2022/04/30

الملخص: سنحاول في هذه الورقة البحثية التطرق إلى تطور المعالم الجنائزية وطقوسها بولاية تيارت بداية من العصر الحجري القديم الأعلى إلى الفترة القديمة مرورا بفترة فجر التاريخ اعتمادا على الشواهد الأثرية والمصادر التاريخية، ففترة العصر الحجري القديم الأعلى يشهد عليها موقع كلوماطة بسيدي الحسني الذي يعتبر محطة لأول انساني بدائي عاش بالمنطقة لما يقارب 10800 سنة قبل الحاضر، أما فترة فجر التاريخ فتتثمل في موقع الصوامع بمشرع الصفا وتعتبر من بين أهم المقابر الميغاليتية في شمال افريقيا من حيث حجمها وتنوع معالمها بين المصاطب والبازينا والتيميليس، أما الفترة القديمة فتتثمل في المعالم الجنائزية لجدار بكل من بلديتي مدروسة وفرندة والتي تعتبر من بين النماذج النادرة في شمال افريقيا من حيث طريقة بنائها المربعة وكذا تأريخها المتأخر (ق 05-07م)

الكلمات المفتاحية: المعالم الجنائزية؛ الطقوس الجنائزية؛ كلوماطة؛ الصوامع؛ لجدار

Abstract: In this arcticle We try To adress the developement of funéral Monuments and there rituals in Tiaret, from the Upper Paleolithic Period to the ancient period, Depending on the archaeological evidence and Historical sources, The first period is witnessed by the site of Columnata in sidi hosni It's the site of the first human found in Tiaret (8800 B.C), The seconde period witnissed by the site of soumaa in machra-sfa its the most big Megalitian Tombs in north africa Contains four Tombs, varied in bazina, temeles and dolmans. The laste period witnissed by the munuments of ledjdar in

♦ المؤلف المرسل

medroussa and frenda its only the one model in north africa Relative to her square shape and pyramid roof
and her late periode (5^{th}-7^{th}century).
Key Words : Funéral monuments ; Ritual funéral ; columnata; soumaa ; ledjdar.

مقدمة:

تنتشر المعالم الجنائزية في كامل أقطار العامل منذ فترة فجر التاريخ، وهي عمارة شهدت الكثير من الاختلاف في طرق وتقنيات بنائها وتسمياتها، منها الدولمان والبازينا والتيميليس وغيرها، وكان الهدف من تشييدها هو دفن الموتى وما يصاحبه من طقوس جنائزية تختلف من حضارة إلى أخرى، وقد بدأت بوادر ظهورها منذ أن عرف الانسان طقوس الدفن بداية من فترة ما قبل التاريخ، وكانت طريقة الدفن آنذاك عبارة عن قبور عادية تحفر ثم يتم ردمها إما بالتربة أو بالحجارة، ومع بداية فترة فجر التاريخ أصبحت المدافن أكثر تطورا من حيث طريقة البناء ومن حيث الحجم فظهر ما يسمى بالمعالم الميغاليتية التي ذكرناها آنفا، ثم سرعان ما ظهرت أنواع أخرى أكبرا حجما وجمالية في الفترة القديمة مثل البازينا ذات الحجم الكبير.

وقد انتشرت هذه المعالم بتيارت منذ ما يقارب **10800** سنة خلت ومازالت الشواهد الأثرية بالمنطقة تحاكي هذا التطور سواء من حيث الطقوس وطرق الدفن أو من حيث تقنيات وطرق بنائها، وتعتبر هذه الشواهد من بين المعالم والمواقع النادرة في شمال افريقيا لما لها من أهمية تاريخية وقيمة أثرية كبيرة جعلت الفرنسيين يخصصون وقتا كبيرا لدراستها على مدار قرن من الزمن، لكنهم ركزوا على دراسة كل موقع على حدى ولم يتطرقوا إلى كيفية تطورها عبر العصور سواء من ناحية العمران أو طقوس الدفن.

على ضوء ذلك ما هي ابرز الشواهد الأثرية التي تشهد على تطور المعالم الجنائزية بولاية تيارت من فترة ما قبل التاريخ إلى الفترة القديمة ؟ وما هي الطقوس الجنائزية المصاحبة لها ؟ وكيف تطورت من فترة إلى أخرى ؟.

1 – تعريف المعالم الجنائزية:

يعرفها الباحث طارق ساحد على أنها بناء معماري ممزوج بالتربة يوضع فوق جثة الميت مع أدواته الجنائزية[1].

وبصفة عامة هي معالم بنيت من أجل الطقوس الجنائزية المصاحبة لكل فترة من الفترات التاريخية حيث عرف إنسان ما قبل التاريخ الطقوس الدينية مبكرا و هو ما دلت عليه المدافن التي أقامها ذلك الانسان، ومع ظهور العصر الحجري القديم الأعلى في الجزائربدأت

1 - طارق عزيز ساحد، أثار فجر التاريخ بالجزائر، الجزائر، 2011، ص 28-29.

تعرف هذه الطقوس نوعا من التطور وهو ما دلت عليه العديد من المواقع مثل آفالو ببورمال بالقرب من بجاية و قد أثبتت الدراسات في أواخر القرن العشرين في هذا الموقع على وجود العديد من الهياكل العظمية تدل على هذه الطقوس.

وبحلول العصر الحجري الحديث كان الموتى يدفنون في خنادق أو حفر محاطة بحجارة على شكل أضرحة، و من بين المواقع التي تشهد على ذلك موقع كلومناطة بسيدي الحسني بمنطقة تيارت.

بعدها تطورت القبور تدرجيا إلى أن أصبحت تهيأ على شكل معالم جنائزية بحيث تكون مقابر واسعة يزيد قطرها عن 15 م، بعدها ظهرت معالم أخرى أكثر حجما وأكثر جمالية واتقانا سنتطرق إليها في أنواع المعالم الجنائزية.

2- أنواع المعالم الجنائزية:

هناك الكثير من انواع المعالم الجنائزية وسنتطرق لأهمها والتي تخدم موضوعنا.

1.2 – الجثي: Tumulus

هي عبارة عن ركام من الحجارة يوضع فوق قبر الميت[1]، والهدف من إنشائها هو حماية الجثة من الأخطار البشرية والحيوانية[2].

وتعتبر من بين أقدم المعالم الجنائزية إذ يعود تاريخها إلى أكثر من **4000** سنة ق.م[3].

كما تعرف على أنها عبارة عن ركام من الحجارة شكله مخروطي وقاعدته دائرية يتراوح قطرها بين 5 إلى 15 م[4].

2.2- البازينا: هي عبارة عن بناء معماري شكله دائري أو مستطيل في وسطه جزء مفتوح يؤدي إلى الغرف الجنائزية، وهي تنتشر بكثرة في الصحراء الجزائرية[5].

كما تعرف على أنها معالم تشبه الجثي غير أنها محاطة بدوائر من الحجارة على شكل مصاطب أو مدرجات، وهناك عدة أصناف لهذا المعلم فمنها البازينا البسيطة ذات القاعدة

1- S. Amokrane, Un Model de Gestion Adaptée aux Réalité Patrimoine et Culturelles de Notre Territoire, Racines, Revue de l'Office du Parc National de Tassili, N1, 2009, p 143-150.

2- G. Camps, Aux Origines de la Berbérie, Monuments et Rites Funéraires Protohistorqiues, Paris, 1961, p19.

3- عبد القادر حدوش، الأهقار المركزي والجنوبي في فجر التاريخ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في ما قبل التاريخ، جامعة الجزائر، معهد الأثار، 2009، ص 66.

4-M. Reygasse, les monuments Funéraires Préislamique de l'Afrique du Nord, Paris, 1950, p 06.

5 - G. Camps, Op-Cit, p 272.

الأسطوانية والبازينا المدرجة التي تشبه شكل الهرم، وهناك بازينا متعددة الغرف الجنائزية[1].

3.2 – المصاطب:Dolmens

هي عبارة عن معلم شكله الهندسي يكون إما مربعا أو مستطيلا، يتم تشكيله عن طريق غرس صفائح حجرية كبيرة في التربة بشكل متوازي، ثم تغطى بصفائح أخرى كبيرة ويكون نوع المصاطب حسب عدد الصفائح المستعملة في بنائه فهناك المصاطب الثلاثية والرباعية والخماسية ومنها ما يحوي سبعة مصاطب، يوجد بداخل هذا البناء غرف صغيرة تستعمل للدفن تسمى الغرف الجنائزية، وأول من استعمل مصطلح المصاطب هو الباحث V. Reboud سنة 1856م[2].

4.2- الشوشات:

تشبه كثيرا البازينا في شكلها العام لكنها تختلف عنها في مظهرها الخارجي، حيث ترتفع الشوشات عن سطح الأرض مشكلة ما يشبه الأبراج الدائرية يتراوح ارتفاعها بين 2.5 و03م، وتغطى فوهتها بحجارة كبيرة[3]، كما تختلف من حيث طريقة الدفن فهي تشبه الطريقة الاسلامية إلى حد ما[4].

5.2- الحوانيت:

هي عبارة عن مغارات تحفر في الصخور بشكل مربع متوازي الأضلاع مع ترك فتحة صغيرة طولها 50 سم وعرضها 80 سم، وغالبا ما نجدها في واجهات المنحدرات الصخرية أو الجبال[5]، وفيما يخص الفتحة فتغلق بعد وضع الجثة بواسطة حجارة منحوتة صنعت خصيصا لذلك[6].

3- الموقع الجغرافي لتيارت:

تقع تيارت غرب العاصمة تبعد عنها بحوالي270 كم، يحدها من الشمال غليزان وتسمسيلت ومن الشرق الجلفة ومن الغرب معسكر وسعيدة ومن الجنوب البيض والأغواط، تعلو عن سطح البحر ب 1100 م[7]

1- طارق عزيز ساحد، المرجع السابق، ص 182.

2- G. Camps, dolmens, T16, encyclopédie Berbère, 1995, p 2498.

3- M. Reygasse, Op-Cit, p 08.

4- عبد القادر حدوش، المرجع السابق، ص 295.

5 -G. Camps**,** Haounet, T16, encyclopédie Berbère, 1995, p 3361.

6- G. Camps, Aux Origines de la Berbère, Op-Cit, p 92.

7-Barlette Henri, la Monographie de la Région de Tiaret, Bulletin de la Société Géographie d'Algérie et de l'Afrique du Nord, 1912, p 317.

تتكون من مجموعة من التلال تمتد إلى جبال الناظور ومرتفعات فرندة، والهضاب تمتد من جبال الناظور إلى جبال عمور[1]، (أنظر الخريطة رقم 01).

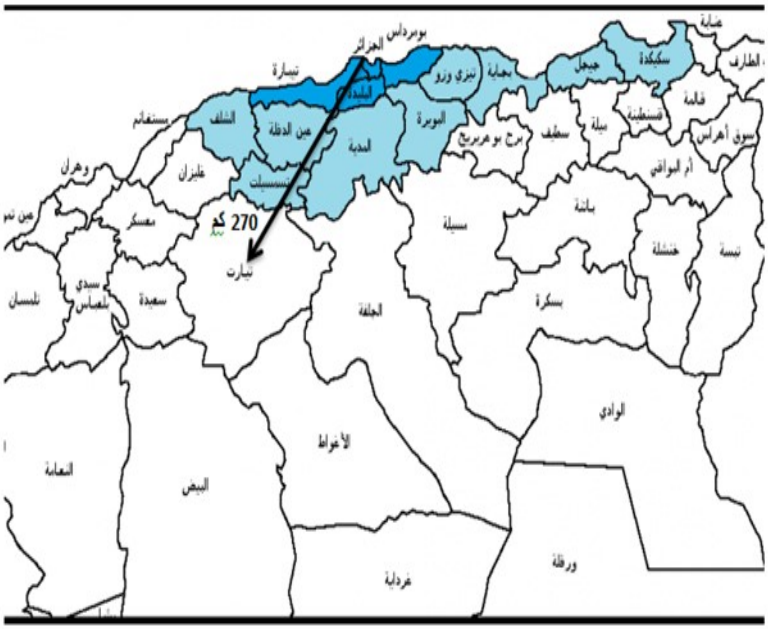

الخريطة رقم 01: خريطة تبين الموقع الجغرافي لولاية تيارت

4- المعالم والمواقع الجنائزية بولاية تيارت:

سنتطرق لأهم المواقع والمعالم الجنائزية بتيارت بداية من العصر الحجري القديم الأعلى إلى الفترة القديمة مرورا بفترة فجر التاريخ وذلك من أجل دراسة تطور واختلاف هذه المعالم من حيث العمارة وكذا الطقوس المصاحبة لكل فترة.

1.4 موقع كولمناطة بسيدي الحسني (العصر الحجري القديم الأعلى): لقد استوطن الإنسان بمنطقة تيارت منذ العصر الحجري القديم الأعلى أي ما يقارب 10800 سنة قبل الحاضر، ولعل خير دليل على ذلك هو الموقع الأثري **كولمناطة** الموجود ببلدية سيدي الحسني ويبعد عن عاصمة الولاية بحوالي 27 كم (أنظر الخريطة رقم 02 والصورة رقم 01).

1- Robert Fossier, «Contribution à l'étude de la Préhistoire de la Région de Tiaret», Bulletin de la Société de Géographie et Archéologie, Oran, 1951, p37.

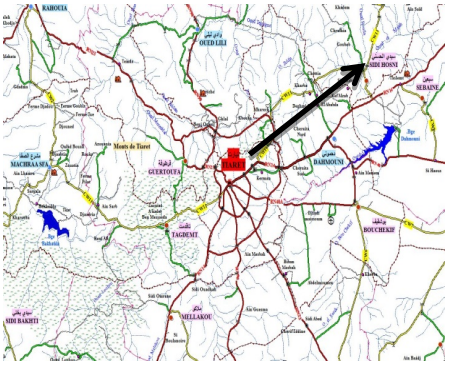

الخريطة رقم 02: تموقع سيدي الحسني بالنسبة الصورة رقم 01: منظر عام لموقع كلوماطة

أكتشف هذا الموقع من طرف الباحث الفرنسي Pierre Cadenat سنة 1937م ومنذ ذلك التاريخ إلى غاية سنة 1961م، قام فيه بعدة حفريات استخرج من خلالها أكثر من 118 هيكل عظمي لرجال ونساء وأطفال[1]، ومن خلال دراسته للموقع تأكد أن الموقع يحتوي على أربعة مستويات ثقافية وهي كالتالي:

1.1.4- مستوى ايبيرومغربي:

أرخ هذا المستوى بـ 8850 قبل الميلاد، يتميز بعدة صناعات حجرية وعظمية صغيرة، كما تميز هذا المستوى بكثير من الحيوانات البرية ذات الحجم الكبير ومعظمها عشبية.

2.1.4- مستوى كلوماطي:

أرخ بتاريخين 6330 و5350 قبل الميلاد، يتميز بصناعة حجرية صغيرة وعظام مصقولة.

3.1.4- مستوى قفصي علوي: أرخ ب 4850 و4390 قبل الميلاد يتميز بصناعات حجرية جد صغيرة مثل الازميل وكذا العظام المصقولة التي وجد بعضها مكونا لسلسلة من القطع الصغيرة.

4.1.4- مستوى نيوليتي ذو تأثير قفصي: أرخ بـ 3900 و3300 قبل الميلاد، ويتكون من رؤوس سهام ذات أجنحة وقشور بيض النعام وبعض الفخار المزخرف[2]، إذا هذا الموقع الأثري يشهد على وجود الإنسان في منطقة تيارت منذ حوالي 10.800سنة قبل الحاضر أي ما

1-M-C Chamla, l'évolution du Type de Mechta-Afalou en Algérie Occidentale, Comptes rendus hebdomadaires des Séances de l'Académie des Science Naturelles, Série 02, 1966 - 1980, p1849.

2 -P. Cadenat, Gisement Préhistorique, columnata, T13, Encyclopédie Berbère, 1994, p 2052-2065.

يقارب 8800سنة قبل الميلاد[1]، وهو موقع فريد من نوعه كونه يحمل أربع ثقافات أو فترات تاريخية مختلفة، كما يعتبر مهدا أو حجر أساس لبداية ما يسمى بالمعالم الجنائزية وطقوس الدفن.

2.4- تعريف الحضارة الايبيرومغربية ibéromauresien

هي ثقافة مغاربية ظهرت في نهاية العصر الحجري القديم الأعلى منذ 20000 سنة سميت بهذا الاسم لأول مرة من قبل الباحث "بالري" سنة 1909م، عندما تم اكتشاف النماذج الصناعية الأولى بموقع المويلح بالغرب الجزائري.

تستمد هذه الحضارة تسميتها من نظرية قديمة مفادها أن هذه الحضارة قد وجدت في كل من المغرب وشبه الجزيرة الايبيرية (اسبانيا)[2]، غير أن هذه النظرية انتقدت في عدة مناسبات علمية وتركت لعدم وجود علاقة بينهما، لكن التسمية ما تزال مستعلمة إلى يومنا هذا تتميز بصناعة حجرية تسيطر فيها النصيلات ذات الظهر المجندل، كما تتميز بالقليل من أدوات الزينة والحلي، تتصدرها القواقع بامتياز وهي الأكثر تمثيلا، والتي تكون مثقوبة طبيعيا أو تحدث عليها ثقوب من خلال حكها من أحد جوانبها[3].

3.4- تعريف الحضارة القفصية:

اشتق اسم هذه الحضارة من اسم "Capsa" وهو الاسم القديم لمدينة قفصة، حيث تعتبر هذه الحضارة قارية امتدت على المنطقة الشرقية الوسطى للبلاد الجزائرية والمنطقة الجنوبية الغربية للبلاد التونسية وتشير الكثير من الأبحاث أن الحضارة القفصية ظهرت بعد الحضارة الوهرانية وامتدت على قرابة 2000 سنة بين 7000 و5000 سنة قبل الحاضر.

تعتمد الصناعة القفصية بالأساس على استعمال حجر الصوان كمادة أولية حيث صنعوا سكاكين حجرية كبيرة وحولوا بعضها إلى أزاميل ومكاشط كما استعملوا مخارز من الحجارة، ومن مادة العظم صنعوا إبرا دقيقة وسكاكين وخناجر، كما حولوا بيض النعام إلى أواني لحفظ المواد السائلة، أما القشور فقد صنعوا منها حلقات دائرية صغيرة تُثقب في وسطها ثم تشذب وتصقل أطرافها لكي تصبح قابلة للنظم في سلك، وبذلك تتحول إلى عقود تستعمل كحلي للزينة، وتقسم الحضارة القفصية إلى ثلاثة أصناف، أما الأول فهو القفصي النموذجي

1- Claude Brahimi, Deux Campagnes de Fouille a Clumnata , T XX 1969-1971, Libyca, 1972, p100.

2- Paule Pallary, Note sur un gisement paléolithique de la province d'Oran, Bulletin du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques, 1909, p. 341-342.

3- Claude Brahimi, Op-Cit, p 45.

يعتبر أقدم صنف في الحضارة القفصية والثاني يسمى القفصي الأعلى وجاء بعد القفصي النموذجي، والثالث هو الأحدث ويدخل في فترة العصر الحجري الحديث بعد 5000 سنة قبل الحاضر من حدود 2000 إلى 1000 سنة قبل الحاضر ويسمى هذا الصنف العصر الحجري ذو التقاليد القفصية، ويمتد على مناطق شاسعة من شمال إفريقيا إلى حدود الصحراء الكبرى جنوبا حيث ندخل بعدها في نطاق العصر الحجري الحديث ذو التقاليد السودانية [1].

4.4- طرق الدفن والطقوس المصاحبة لها بالموقع:

شهد الموقع الكثير من طرق وطقوس الدفن خاصة المستوى الايبيرومغربي والكلوماطي نذكر منها ما يلي:

1.4.4- المستوى الايبيرومغربي:

تميز هذا المستوى بعدة طرق للدفن من بينها وضع الجثة في حفرة ثم توضع فوقها حجارة مصقولة تنخفض في الوسط بطول 50 سم وتوضع فوق هذه الأخيرة بعض الحجارة التي يتراوح طولها بين 01 م وعرضها حوالي 50سم.

كما شهد هذا المستوى نوع آخر من الدفن يتم عن طريق وضع أجزاء فقط من الجثة مثل الذراع اليسرى كاملة أو الجزء العلوي من عظم الفخذ، أو قدم كاملة بجانبها عظمة الساق، وكلها وجدت في الموقع، ثم توضع فوقها أربعة أحجار مصقولة للدلالة على القبر أو تحديده، وهنا يمكن القول أن الانسان الايبيرومغربي لم يهتم بدفن الجثة كاملة وإنما ركز على بقايا الجثث التي ذكرناه آنفا.

كما وجد في هذا المستوى قبر يحتوي على أطراف من الجثة وفوقها ركام من الحجارة مخلوطة مع قرون الثور.

2.4.4- المستوى الكولوماطي: شهد هذا المستوى طرقا أخرى في الدفن حيث توضع فوق الجثة قاعدة دائرية بنيت بصفين من الحجارة قطرها حوالي 80 سم، ثم وضعت فوقها حجارة رملية ارتفاعها 78 سم لتغطيها كاملة.

فيما يخص الطقوس التي صاحبت عملية الدفن هي استعمال أدوات من العظام البشرية وجدت مرافقة للجثة خاصة في المستوى القفصي والكلوماطي واستمرت نوعا ما إلى العصر الحجري الحديث، ومن أمثلة ذلك العثور على فك سفلي بشري ملمع بمادة معقدة وكذا عظم الفخذ، كما تم العثور على كل من الفك السفلي والعلي متلاصقين إما برباط أو بمادة طلائية جد معقدة، ويرجح أن استعمال هذه الأدوات من العظام البشرية راجع إلى الخوف من

1- M-C. Chamla, Étude anthropologique de l'Homme capsien de l'Aïn Dokkara (Algérie orientale), Libyca, N21, 1973, p 9-53.

السحر[1]، ومما يزيد هذا الموقع أهمية هو العثور على بقايا في مستوى العصر الحجري الحديث العلوي تعود لنوع آخر من البشر هو إنسان فجر المتوسط، لأنه من المتفق عليه أن منذ العصر الحجري القديم الأعلى حتى الهولوسان الأوسط، كانت مجموعتان تعيشان في الجزائر المشتويين الذين يتوزعون على طول الساحل وفي الصحراء، و شعوب فجر المتوسط المتمركزة في تونس و الشرق الجزائري و التي يمكن أن تتواجد في صحراء مالي أيضا، وهذان النوعان اجتمعا في موقع كلوماطة كما يشهد على امتداد إنسان فجر المتوسط نحو الغرب[2].

5.4- المركب الجنائزي مشرع الصفا (فجر التاريخ): يوجد هذا الموقع بضواحي بلدية مشرع الصفا وتحديدا في الشمال الغربي لولاية تيارت على بعد حوالي 40كم، له عدة تسميات منها الصوامع وقنشورة، ويعتبر من بين أكبر المقابر الميغاليتية في شمال افريقيا، (أنظر الخريطة رقم03).

الخريطة رقم 03 : تموقع بلدية مشرع الصفا بالنسبة لتيارت

1.5.4- أنواع المقابر بالموقع:

بني الموقع على ضفاف واد مينا ويتربع على مساحات شاسعة مقسمة إلى أربعة مقابر منها:

1.1.5.4 مجموعة مزرعة الطيب:

1-G. Camps, la nécropole de Columnata, T14, Encyclopédie Berbère, , 1994, p 2052-2065.

2 -M-C. Chamla, les Hommes épipaleolithiques, Encyclopédie Berbère, T 14, 1994, p 2052-2065.

تقع هذه المجموعة في الجهة الجنوبية الغربية من مشرع الصفا، وتحديدا في الضفة اليمنى لواد مينا، تحتوي على ثلاثة أنواع من المعالم الجنائزية (التلال- المصاطب- البازينات)، أول من أشار إلى هذه المعالم الباحث Pallary Paule[1].

2.1.5.4 مجموعة قنشورة:

تقع هذه المجموعة في الجهة الغربية من منطقة مشرع الصفا، وذلك على الضفة اليسرى من واد مينا، في جهته المتكونة من طبقات حجرية على شكل مدرجات، سميت هذه المجموعة بالصوامع وأهل المنطقة يسمونها قنشورة.

المنطقة عبارة عن كهوف ومغارات وتحتوي حاليا على 19 قبرا من نوع المصاطب، ويذكر بعض الباحثين أكثر من ذلك بكثير حيث يشير الباحث De la Blanchére إلى وجود حوالي 100 [2].

3.1.5.4 المجموعة الثالثة(عساسات الركب):

توجد في الجهة الغربية من منطقة مشرع الصفا وعلى الضفة اليسرى من واد مينا، تحتوي على 15 معلما من نوع البازينا[*] كما يذكر الباحث De Bayle، أما الباحث Pallary فسماها أبراج دائرية، حاليا يوجد فقط معلمين من التلال وأربعة بازينات[3].

4.1.5.4 المجموعة الرابعة: مقبرة بوعراسن: تقع هذه المجموعة على بعد 03 كلم جنوب غرب مقبرة قنشورة تحتوي على عشرة معالم جنائزية من نوع البازينا حسب الباحث Pallary[4]، شهد الموقع دراسات محتشمة وأول من أشار إليه هو الباحث Tomassini سنة 1880م.

1- Paule Maurice Pallary, Les Monuments Mégalithiques de L'Arrondissement de Mascara, Bulletin de la société d'Ethnographie, Compte Rendu des Sciences, Notice Scientifiques et Documents Originaux, 2e série, Paris, Mars 1887, p 451-459.

2-René-Marie De la Blanchere, Les Souama de MechraaSfa, Mélange d'archéologie et d'Histoire, T02, Paris, 1882, p 394.

* البازينا هو نوع من أنواع المعالم الجنائزية، حيث يبنى فوق القبر بناء بالحجارة شكله دائري، ينظر طارق ساحد، المرجع السابق ، ص 182.

3-Roger De Bayle Des Hermens, Les sites de Méchera Sfa sur la Haute Mina, Bulletin de la Société Préhistorique Française, 1966, p376.

4-Paule Pallary, Op-Cit, p63.

وقام الباحث De la Blanchére بوصف معالم الصوامع التي ذكرناها سابقا[1]، وفي سنة 1883 قام Derrien بحفرية في أحد المعالم أسفرت عن وجود بقايا هيكل عظمي مدفون على الظهر دون وجود أدوات جنائزية تشبه هذه المقابر خاصة بأروقتها الداخلية مقابر التيميليس الموجودة بقسنطينة وتحديدا بالقرب من ملدرون على الطريق الرابط بين عين ياقوت وخنشلة [2]، (أنظر الصورتين رقم 02 و03).

الصورة رقم 02: معلم من نوع المصاطب

الصورة رقم 03: معلم من نوع التلال ببوعراسن

منظر داخلي للدولمان

2.5.4- طقوس وطرق الدفن بالموقع:

تعددت الطقوس ووضعيات الدفن بهذا الموقع من بينها ما يلي:

1.2.5.4- الوضعية الجنينية:

سميت بالجنينية لأن الجثة توضع بوضعية الجنين في بطنه أمه حيث تطوى المفاصل والسواعد على الصدر وتلامس الركبتين الوجه والعاقبين على جانبي الحوض، ويستعمل في ذلك أربطة تساعد على ابقاء الجثة في وضعيتها لمدة أطول[3]، وقد وجدت هذه الوضعية في أحد المعالم من طرف الباحث Paule Pallary [4].

1- René-Marie De la Blanchere, Op-Cit, p 393.

2- Col Derrien, Notes Sur les Ruines Romaines et Berbères du Bassin de l'Oued-Riou, Recueilles pendant la Compagne Géodésique de 1883, T15, Bulletin d'Oran, 1895, p289.

3- ساحد طارق، المرجع السابق ، ص 208.

4- Paule Pallary, les Monuments Mégalithique, Op-Cit, p 445.

2.2.5.4- وضعية الاستلقاء على الظهر: تتم هذه الوضعية عن طريق وضع الجثة على ظهرها مسنودة إلى الجدار وتوجه إلى الشرق وحسب الباحث Camps هذه الوضعية عرفت عند الفينيقيين ثم الرومان[1].

استخدمت هذه الوضعية في موقع الصوامع(قنشورة) بإحدى المصاطب وكان قد اكتشف الباحث Derrien هيكلا عظميا بتلك الوضعية أثناء حفرياته بالموقع[2].

3.2.5.4 الحرق:

تتم هذه الطريقة بحرق الجثة من أجل التخلص من اللحم وابقاء العظام فقط ليتم دفنها فيما بعد، وهو ما كشف عنه الباحث Paule Pallary في أحد البازينات أثناء تنقيبه في الموقع حيث عثر على بقايا عظام محروقة[3].

وخلاصة القول أن موقع الصوامع احتوى على معظم طرق الدفن وطقوسها وهو أمر عادي نظرا لحجم الموقع وتنوع معالمه.

6.4 معالم لجدار:

تقع المعالم الجنائزية لجدار بولاية تيارت، وتبعد حوالي 320كم عن الجزائر العاصمة، أما فلكيا فتقع بين خطي طول 09 47'6 و °35.11.30 81 شرقا، وخطي عرض '44.65. '12.°1و °1.212.401 شمالا.

تنقسم هذه المعالم إلى مجموعتين، ثلاثة منها في جبل لخضر بضواحي مدغوسة، أما العشرة الأخرى فتوجد في جبل العروي على بعد 15 كم عن مدينة فرندة، و36 كم عن ولاية تيارت، وذلك بالجهة الغربية من واد مينا بحوالي 6 كم، والجهة الشرقية من سهل السرسو.

من أجل الوصول إلى المعالم نسلك الطريق الوطني رقم 14، المؤدي إلى ولاية معسكر مرورا ببلدية ملاكو، بعدها بحوالي 15 كم نسلك طريق ثانوي يوصلنا إلى معالم جبل لخضر، (أنظر الخريطة رقم 03)، أما فيما يخص معالم جبل العروي فنسلك نفس الطريق الوطني رقم 14 لكن باتجاه فرندة، ثم طريق فرعي رقم 09، على جهة اليسار يؤدي إلى كل من بلديتي عين كرمس ومدريسة، وتبعد بحوالي 6 كم عن تقاطع الطريقين السابقين، (أنظر الخريطة رقم 04).

---

1 -G. Camps, Op-Cit, p503.

2-Col. Derrien, Note Sur les Ruines Romaines et Berbéres du Bassin d'Oued riou, B.S.G.O, T15, 1895, p 289.

3- Paule Pallary, Op-Cit, p 445.

الخريطة رقم 02: معالم جبل لخضر

الخريطة رقم 03: معالم جبل العروي

1.6.4- وصف المعالم وطرق البناء:

1.1.6.4- معالم جبل لخضر:

1.1.1.4.4- المعلم الأول:

بني المعلم بقاعدة مربعة وسقف هرمي مدرج، يبلغ طول أضلاع القاعدة 32م^2 وارتفاعها 3م، وقد بينت بالحجارة الكلسية بتقنية تشبه التقنية الرومانية Opus Quadratum والتي تعني البناء بالحجارة المنحوتة ذات الأحجام الكبيرة والمتوازية الأضلاع.

أما السقف الهرمي فيبلغ ارتفاعه 14م، كان في الأصل مدرجا وحاليا يبدو مثل كومة من بالحجارة الصغيرة بعد تعرضه لمختلف عوامل التلف.

يوجد مدخل المعلم في الجهة الشرقية وهو عبارة عن رواق طوله 09م وارتفاعه 01م وعرضه 70سم، على بعد مترين توجد تسعة سلالم تؤدي إلى رواق يبلغ طوله 36م، تتوزع عليه ثمانية غرف بعدد غرفتين في كل ركن، وهي مربعة الشكل معدل مساحتها 12م^2، تحتوي على أبواب طولها 01م وعرضها 70سم، استعملت الحجارة الرملية في تسقيفها، (أنظر المخطط رقم 01 والصورة رقم 04).

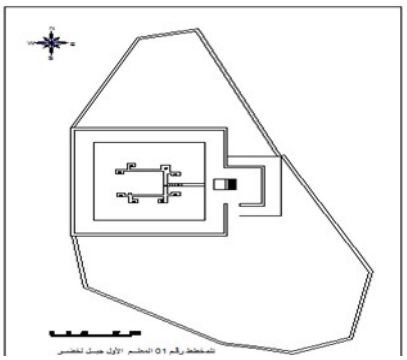

المخطط رقم 01: تخطيط المعلم الأول

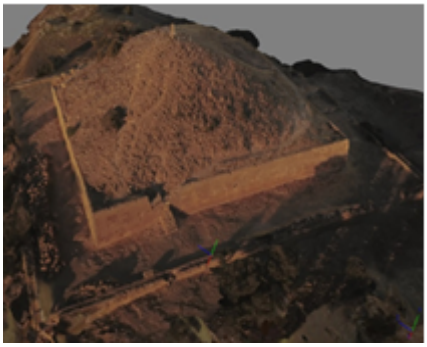

الصورة رقم 04: منظر عام للمعلم الأول

2.1.1.4.4 - المعلم الثاني:

يوجد هذا الأخير في الجهة الجنوبية للمعلم الأول في قمة مقابلة من جبل لخضر، وهو مهدم كليا لا تظهر منه إلا القاعدة السفلية بطول 12م وارتفاع 03م، بني بالحجارة الكلسية الكبيرة وبنفس التقنية التي بني بها المعلم الأول "Opus Ouadratum"، مرافقه الداخلية لا تظهر حاليا لكن بالاعتماد على حفرية Roffo سنة 1938 فقد كان المعلم يحتوي على قبر في الوسط، أما الزخارف فلا توجد باستثناء بعض الرموز مثل المثلثات المتناظرة الموجودة بالواجهة الجنوبية والشرقية، (أنظر المخطط رقم 02 والصورة رقم 05).

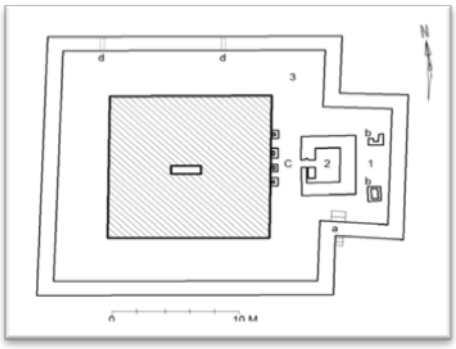

المخطط رقم02: تخطيط المعلم الثاني عن Laporte

الصورة رقم 05: منظر عام للمعلم الثاني

3.1.1.4.4- المعلم الثالث:

يتكون من قاعدة سفلية مربعة طول أضلاعها 11م^2 وارتفاعها 04م، بنيت بالحجارة الكلسية وبتقنية تشبه التقنية الرومانية الآنفة الذكر، وفي الأعلى هرم مدرج بقي منه تسعة مصاطب طولها 2.20م، وارتفاعها 03م، يوجد مدخله بالجهة الشرقية ويحتوي على سلالم حجرية مؤدية إلى الأروقة الداخلية التي

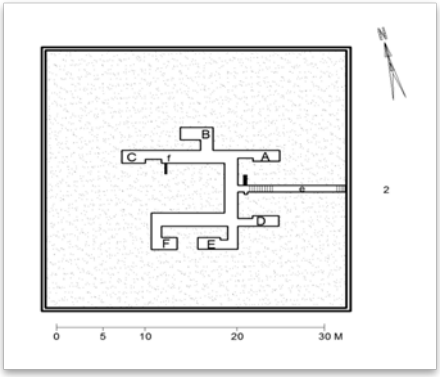

تنتشر بها ستة غرف، ثلاثة على اليمين وثلاثة على اليسار متوسط طولها 2.60م وعرضها 1.60م، وارتفاعها 1.95م، أما التسقيف فكان من الحجارة الرملية، وفيما يخص الزخارف والنقوش فهي منعدمة باستثناء بعض الرموز الشبيهة بتلك الموجودة بالمعلم الأول، (أنظر المخطط رقم 03 والصورة رقم 07).

المخطط رقم03: تخطيط المعلم الثالث **الصورة رقم 07: منظر عام للمعلم الثالث**

2.1.6.4- معالم جبل العروي:

1.2.6.4- معلم الكسكاس: سمي بهذا الاسم نسبة لشكله الذي يشبه الآنية التي توضع فوق القدر لتحضير الكسكس، أما الفرنسيين فسموه الجدار F، يبدو من بعيد كأنه جبل وذلك لعدم ظهور قاعدته خاصة من الجهات الغربية والشمالية والشرقية، أما الجهة الجنوبية فيظهر فيها التصميم الحقيقي للمعلم حيث ترتفع قاعدته ب03م، وسقفه هرمي مدرج بارتفاع 17م، يحتوي المعلم على عشرين غرفة جنائزية تتوزع على أروقة مختلفة الأحجام والتصاميم،(أنظر المخطط رقم 04 والصورة رقم 08)، هو الآخر يحتوي على الكثير من الزخارف والنقوش المتنوعة بين الحيوانية والهندسية و النباتية. فيما يخص المعالم التسعة الباقية كلها مهدمة ولا يمكن ولوجها، وهي تحتاج إلى حفرية لاكتشاف عناصرها المعمارية والزخرفية.

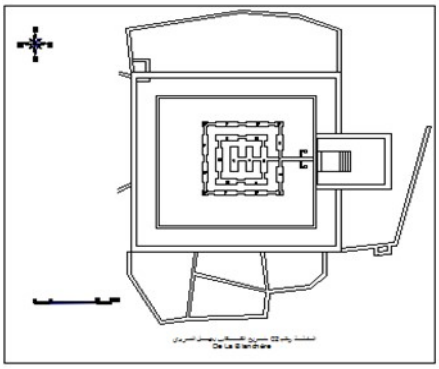

المخطط رقم 04: تخطيط معلم الكسكاس

الصورة رقم 08: منظر عام لمعلم الكسكاس

2.6.4- لمحة تاريخية عن المعالم:

اكتشفت المعالم من طرف المنصور* الخليفة الفاطمي الثالث وهو ما أشار إليه ابن الرقيق في أحد نصوصه والذي نقله عنه ابن خلدون ويذكر فيه ما يلي: (**وزحف المنصور* على وادي ميناس، وكان هناك ثلاثة جبال كل منهم عليه قصر مبني بالحجر المنحوت، فوجد في وجه أحد هذه القصور كتابة على حجر فسيح، فأمر المنصور التراجمة بقراءته، وإذا فيه أنا سليمان السردغوس خالف أهل هذا البلد على الملك، فبعثني إليهم ففتح الله عليهم وبنيت هذا البناء لأذكر به**)[1].

يرى الباحث الفرنسي Dessau أن من ترجم الكتابة للمنصور لم يحسن قراءة هذه الشخصية ويرجح أن سليمان السردغوس ما هو إلا الجنرال البيزنطي salomon stratégos، الذي يعتبر كذلك معاصرا لفترة بناء هذه المعالم، هذه الناقشة التي أعاد ابن خلدون ترجمتها عن ابن الرقيق تبقى منها ما يلي:

COVOMR N. CTPATH IOC[2]

---

*- المعز لدين الله (المنصور) هو الخليفة الفاطمي الثالث تولى الخلافة سنة 341هـ/ 952م خلفا لأبيه المنصور أبي طاهر، أنظر علي محمد علي، الدولة الفاطمية، مؤسسة اقرأ، نوفمبر 2008م.

1- عبد الرحمن بن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج07، دار الطبع الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، 1968، ص93-94.

2-Ministère de l'instruction publique, les djedar, Archives des missions scientifiques et littéraires, choix de rapports et instructions publié sous

ويرى بعض الباحثين أن Massuna الذي ذكره "Procope" في نصوصه التاريخية، ولمح إلى علاقته مع Salomon القائد البيزنطي هو نفسه Massuna الذي وجد في نقش Altava بتاريخ 508م، وهو نفسه الأمير الموري الذي كان يسيطر على كامل مقاطعة وهران ويحتمل أنه هو من دفن بمعالم لجدار[3].

وتفترض الباحثة Fatima Kadaria أن المعلم الثاني لجبل لخضر يعود للملك Massuna، في حين يعود معلم الكسكاس إلى الملك Mastiguas أو Mastinas واعتمدت على كونهما عاصرا فترة تشييد المعالم[4].

وقد قامت بتحليل عينتين من الخشب بواسطة الكاربون المشع استخرج من المعلمين الثاني والثالث وهي بقايا ناووس خشبي، فأعطت لنا الأولى تاريخ 460م، والثانية 370م[5].

كما ترى أن المعلم الأول بجبل لخضر هو الأقدم عمرا بسبب موقعه الهام وطريقة بنائه المتقنة، فهي تعتبره المعلم الذي شيده مؤسس الأسرة الملكية، أما المعلم الثاني فشيد لاحقا لصغر حجمه وتأثره بتقنية المعلم السالف الذكر، بينما المعلم الثالث بجبل لخضر هو أكثرهما تأخرا وذلك مع نهاية القرن 05م وبداية القرن 06م، أما معالم جبل العروي فبنيت مع نهاية القرن 06م وبداية القرن 07م[6].

من خلال هذه الفرضيات نلاحظ أن جميع الباحثين يتفقون على أن المعالم بنيت فيما بين القرنين 05 و07م أي الفترة البيزنطية، لكنهم يختلفون في هوية من بناها ومن دفن بها لتبقى مجرد فرضيات حتى يتم اثباتها أو تفنيدها مستقبلا

3.6.4- طقوس الدفن بالمعالم:

لم يصلنا الكثير حول الطقوس الجنائزية التي كانت تصاحب عملية الدفن بالمعالم الجنائزية لجدار بالرغم من أن الفرنسيين قاموا بعدة حفريات إلا أنهم لم يتركوا في ارشيف دراساتهم حول هذا الموضوع باستثناء الباحث Roffo الذي قام بحفرية في معالم جبل لخضر الثلاثة وخمسة معالم بجبل العروي وهو ما نقلته عنه الباحثة الجزائرية Fatima Kadaria، حيث

---

les auspices du Ministère de l'instruction publique et des cultes, 1883, p89-90.

3- René-Marie De La Blanchére, Op-Cit, p90.

4 -Fatima Kadaria, Les Djedars Monuments Funéraires Berbères de la Région de Frenda, Office des Publications Universitaires , Alger 1983, p357.

5- Ibid, p232-233.

6- Ibid, p358.

تذكر أنه وجد بالمعلم الأول بقايا ناووس خشبي لكنه فارغ،أما بالمعلم الثاني وتحديدا بوسطه يوجد قبر صغير، يغطي هذا الاخير صفائح كبيرة من الحجارة يعلوها ركام من الحجارة بحجم 1م^2، وجد تحت هذا الركام هيكل عظمي موضوع على الجهة اليمنى داخل ما يشبه التابوت الخشبي، وبدون أثاث جنائزي.

كما قام الباحث Roffo سنة 1938م بحفرية في معالم جبل العروي، مست 05 معالم، لكن التقارير لم تفصل في هذه الحفريات، فقد ذكر الباحث أن الغرف الجنائزية تعتمد على نفس مبدأ وتصميم المعلم الثاني بجبل لخضر، أي أن القبور الجنائزية موجودة في الأسفل وبدون غرف وأروقة، باستثناء معلم الكسكاس، فيما يخص المعثورات وجدت بعض الهياكل العظمية من دون جمجمة مع بعض المسامير و الزجاج المتعدد الألوان، أما الطقوس الجنائزية فهي نفسها الموجودة بالمعلم الثاني بجبل لخضر، حيث وضعت الجثة في ناووس خشبي مغلق بمسامير(7).

خاتمة:

صحيح أن البداية الأولى لظهور ما يعرف بالمعالم الجنائزية كانت في فترة فجر التاريخ كما يتفق عليه معظم الباحثين، لكن في منطقة تيارت استثنيت هذه القاعدة فالبوادر الأولى لظهور هذه المعالم كان في العصر الحجري القديم الأعلى وهو ما يشهد عليه موقع كلوماطة بسيدي الحسني بمستوياته الأربعة فقد ظهرت بعض البنايات الصغيرة التي كانت توضع فوق جثة الميت مشكلة ما يشبه الجثي، وحتى الطقوس الجنائزية كانت حاضرة في الموقع مثل الاهتمام بدفن بعض أجزاء الجثة أو أطرافها، كما دفنت معها بعض الأدوات الجنائزية المصنوعة من العظام البشرية، وما زاد هذا الموقع أهمية هو احتوائه على نوعين من البشر انسان فجر المتوسط الذي كان يعيش في الشرق الجزائري وتونس والمشتويين الذين كانوا يعيشون في الغرب، أما في فترة فجر التاريخ فتطورت المعالم الجنائزية بشكل مذهل كما لاحظنا في موقع الصوامع بمشرع الصفا فأصبحت أكبر حجما وأكثر جمالية فظهر ما يسمى بالجثي والبازينا والمصاطب ويعتبر هذا الموقع من بين المواقع النادرة التي تجمع بين كل هذه الأنواع من المعالم، وفيما يخص الطقوس فقد اختلفت عن موقع كلوماطة فاستعملت عدة طرق في الدفن منها الوضعية الجنينية ووضعية الاستلقاء على الظهر وعملية حرق الجثث ودفن عظامها، أما الفترة القديمة فقد شهدت مزيدا من التطور خاصة في طرز البناء ولعل معالم لجدار خير دليل على ذلك فقد بنيت بطريقة جعلتها من النماذج النادرة في شمال افريقيا فقد بنيت بقاعدة مربعة يتراوح طول أضلاعها ما بين 10 إلى 46 م^2، وسقف هرمي

7- Fatima Kadaria, Note complémentaire Sur Les Djedars de Frenda , Bulletin d'Archéologie Algérienne, 1988, p227-231.

مدرج يتراوح ارتفاعه من 10 إلى 17 م، واحتوى على غرف جنائزية وصل عددها إلى عشرين غرفة في أحد المعالم، كما أنها بنيت لدفن الملوك الذين عاشوا في تلك الفترة وبالرغم من أن الطقوس الجنائزية المصاحبة للدفن لم تصلنا كثيرا إلا أن الدفن بطريقة الاستلقاء على الظهر وصلتنا عن طريق الباحث Roffo ، فربما يمكن تعميمها على باقي المعالم.

وخلاصة القول أن المعالم الجنائزية انتشرت بشكل واسع في منطقة تيارت وشهدت الكثير من التطور من العصر الحجري القديم الأعلى إلى الفترة القديمة مرورا بفجر التاريخ، مستثنية بعض القواعد التي حددها الباحثون في هذا المجال مثل الفترة الزمنية وكذا طريقة البناء.

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

01 - بن خلدون عبد الرحمن، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج**04**، دار الطبع الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، **1968**م.

02- حدوش عبد القادر، الأهقار المركزي والجنوبي في فجر التاريخ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في ما قبل التاريخ، جامعة الجزائر، معهد الأثار، **2009**.

03- ساحد طارق عزيز، أثار فجر التاريخ بالجزائر، الجزائر، **2011**

بالأجنبية:

01- Amokrane. S, Un Model de Gestion Adaptée aux Réalité Patrimoine et Culturelles de Notre Territoire,Racines, Revue de l'Office du Parc National de Tassili, N1, 2009.

02- Brahimi Claude, Deux Campagnes de Fouille a Clumnata **,**T XX 1969-1971, Libyca, 1972.

03- Cadenat. P, Gisement Préhistorique, columnata, T13 Encyclopédie Berbère, 1994.

04- Camps. G, Aux Origines de la Berbérie, Monuments et Rites Funéraires Protohistorqiues, Paris, 1961.

05- Camps. G, dolmens, T16, encyclopédie Berbère, 1995.

06- Camps. G, la nécropole de Columnata, T14, Encyclopédie Berbère, 19944.

07- G. Camps, Haounet, T16, encyclopédie Berbère, , 1995.
08-Chamla M-C , Étude anthropologique de l'Homme capsien de l'Aïn Dokkara, T21 (Algérie orientale), Libyca, 1973.
09-Chamla. M-C, l'évolution du Type de Mechta-Afalou en Algérie Occidentale , Comptes rendus hebdomadaires des Séances de l'Académie des Science Naturelles, Série 02, 1966 – 1980.
10-Chamla. M-C, les Hommes épipaleolithiques, T14, Encyclopédie Berbère.
11-Col. Derrien, Notes Sur les Ruines Romaines et Berbères du Bassin de l'Oued-Riou , Recueilles pendant la Compagne Géodésique de 1883, T15, Bulletin d'Oran, 1895.
12- De Bayle Des Hermens. R , Les sites de Méchera Sfa sur la Haute Mina, Bulletin de la Société Préhistorique Française, 1966.
13- De la Blanchere. M.R, Les Souama de MechraaSfa, T02 Mélange d'archéologie et d'Histoire, Paris, 1882.
14- Fatima Kadaria, Les Djedars Monuments Funéraires Berbères de la Région de Frenda, Office des Publications Universitaires , Alger 1983.
15- Fatima Kadaria, Note complémentaire Sur Les Djedars de Frenda , Bulletin d'Archéologie Algérienne, 1988.
16- Henri Barlette, la Monographie de la Région de Tiaret, Bulletin de la Société Géographie d'Algérie et de l'Afrique du Nord, 1912.
17- Ministère de l'instruction publique, les djedar , Archives des missions scientifiques et littéraires, choix de rapports et instructions publié sous les auspices du Ministère de l'instruction publique et des cultes, 1883.
18- Paule Pallary, Instruction pour les Recherches Préhistoriques dans le Nord-Ouest de l'Afrique, Mémoire de la Société Historique d'Alger, 1901.
19- Paule Maurice Pallary, Les Monuments Mégalithiques de L'Arrondissement de Mascara, Bulletin de la société d'Ethnographie, Compte Rendu des Sciences, Notice Scientifiques et Documents, 1883.

20-Paule Pallary, Note sur un gisement paléolithique de la province d'Oran, Bulletin du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques, 1909.

21- Robert Fossier, Contribution à l'étude de la Préhistoire de la Région de Tiaret, Bulletin de la Société de Géographie et Archéologie, Oran, 1951.

22- Reygasse. M, les monuments Funéraires Préislamique de l'Afrique du Nord, Paris, 195.